*تابع الملاحظات على كتاب (المصاحف) لابن أبي داود*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ محمد سعد حسن*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mohamad.saad@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في تابع الملاحظات على كتاب (المصاحف) لابن أبي داود**

**الكلمات المفتاحية : الصحابة ، القراءات ، المسلمين**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن تابع الملاحظات على كتاب (المصاحف) لابن أبي داود**

1. **عنوان المقال**

**لقد كان لبعض الصحابة ملازم، وأجزاء خاصة به، ووجد في هذه المدونات بعض الاختلاف عن المصحف الإمام، ولكن هذا الاختلاف لا يعدو أن يكون زيادة ألفاظ مدرجة في المصحف كنوع من التفسير، والبيان، فهذه الزيادات ليست قرآنًا، وإنما هي بدايات لعلم التفسير، أما ما روي من وجوه القراءات الشاذة، فإن المسلمين يقطعون بأنه ليس قرآنًا.**

**يقول الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه (تاريخ القرآن): نقرر أن ما تحصل لدينا من الروايات، التي أعثرنا عليها البحث في مصادر القراءات الشاذة، التي اعتمدنا عليها، وكذلك ما رتبه المستشرق "آرثر جفري" من مادة كتاب المصاحف، كل ذلك ليس بقرآن، وإنما هو من الباب، الذي ذكرنا أي: من باب القراءات الشاذة أو التفسيرية، ونحن نرى أن تلك الزيادات البيانية كانت ضرورية، وأن وجودها كان طبيعيًّا في تلك الظروف التاريخية، وهي في نظرنا تعد الملامح الأولى لما عرف بعد ذلك بعلم تفسير القرآن.**

**وفيما يلي أبين بعض النصوص من كتاب (المصاحف) نفسه الذي اعتمد عليه الطاعنون التي تبين إجماع الصحابة على عمل سيدنا عثمان > وتبين استحسان الصحابة في هذا العمل، فهذا الإمام علي بن أبي طالب > وهو أحد اللذين، ورد أن لهم تدوينًا خاصًّا بهم يقول > حين حرق عثمان المصاحف: "لو لم يصنعه لصنعته"، وهذا الأثر وارد في كتاب (المصاحف) لابن أبي داود، وهو إن دل فإنما يدل على إقرار علي بن أبي طالب لفعل سيدنا عثمان، بل واستحسان الإمام علي لفعل سيدنا عثمان {.**

**ثم يذكر ابن أبي داود عن مصعب بن سعد قوله: "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك". وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد، ويعلق ابن أبي داود نفسه على قراءة أبي بن كعب > تلك القراءة التي قرأ فيها "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" في كفارة اليمين، يعلق ابن أبي داود على هذه القراءة بقوله: "لا نرى أن نقرأ القرآن إلا لمصحف عثمان الذي اجتمع عليه أصحاب النبي  فإن قرأ إنسان بخلافه في الصلاة أمرته بالإعادة".**

**هذا هو كلام ابن أبي داود بنفسه في كتاب (المصاحف)، فإذا كان هذا هو رأي ابن أبي داود نفسه، فإننا نسأل: لماذا إذًا أجهد ابن أبي داود نفسه بجمع هذه الروايات العجيبة؟ ولماذا أحيا خلافًا أراد أمير المؤمنين وأده؟ لماذا جمع ابن أبي داود هذه الروايات، التي اختلط فيها الحق بالباطل؟ والتي لم تنشر إلا بعد اتساع الفتن، ورجوع بعض الناس إلى النفاق؟**

**وإذا كان العلامة الشيخ محمد أبو زهرة -رحمه الله- قد انتقد كلًّا من الإمام الزركشي في (البرهان)، والإمام السيوطي في كتابه (الإتقان) انتقدهما لذكرهما روايات غير صحيحة، وبعيدة عن معنى تواتر القرآن الكريم؛ حيث قال: إن مصحف عثمان يجب أن تكون كل قراءة قرآنية متفقة مع نصه، وأن الشك فيه كفر، وأن الزيادة عليه لا تجوز، وأنه القرآن المتواتر الخالد إلى يوم القيامة، ثم قال: لماذا كانت الروايات الغريبة والبعيدة عن معنى تواتر القرآن، تلك الروايات التي احتوتها بطون الكتب (كالبرهان) للزركشي، و(الإتقان) للسيوطي، التي تجمع كما يجمع حاطب ليل مع أن القرآن كالبناء الشامخ الأملس، الذي لا يعلق به غبار؟**

**أقول: إذا كان هذا هو تعليق العلامة أبي زهرة -رحمه الله- على ما ورد في (البرهان) للإمام الزركشي، أو ما ورد في (الإتقان) للإمام السيوطي، فكيف لو رأى هذا الكم الهائل من تلك الروايات الموجودة في كتاب (المصاحف) تلك الروايات التي اعتمد عليها الطاعنون في شبهاتهم تجاه القرآن؟**

**أغلب الظن أنه سيقول ما قاله الأستاذ إبراهيم الإبياري عن تلك المصنفات عن المصاحف واختلافها، وتلك الدراسات التي لا تملك الأدلة الصحيحة، والمنهج العلمي السليم يقول: تلك دراسة بتراء لا تملك أسلوبها العلمي الصحيح، ولو كنت أملك لعفيت آثاره كما عفا عثمان آثارًا مثله، ولن أكون معهما متجنيًا أو متعسفًا وخائفًا، بل أكن مع الحزم الذي اتصف به عثمان، وناصره عليه علي، واجتمع معه في الرأي اثنا عشر صحابيًّا } جمعهم عثمان لهذا العمل الجليل.**

**إن الإمام ابن أبي داود بتصنيفه لكتاب (المصاحف)، وبتجميعه لتلك الروايات الشاذة والغريبة قد أقدم على صنيع صار طعمًا لأعداء الإسلام والطاعنين، بحيث لا يرون إلا هذه الروايات الشاذة وأمثالها يبنون عليها حقائقهم، أو بعبارة أدق يبنون عليها افتراءاتهم وظنونهم.**

**لقد كان الإمام ابن أبي داود مولعًا بإيراد الروايات المتضاربة والمختلفة في الموضوع الواحد، وقد تكون إحداها صحيحة وقاطعة في القضية المطروحة، لكن المؤلف يأبى إلا أن يكون حاطب ليل.**

**وفيما يلي بعض الأمثلة التي تناسب المقام وتوضح ما نقوله عن كتاب المصاحف، فعلى سبيل المثال نرى أن ابن أبي داود لا يكفيه حديث أنس بن مالك > الذي رواه الإمام البخاري في كتاب "فضائل القرآن"، والذي ينص فيه على أمر عثمان > في إحراق ما عدا المصحف الإمام، حتى يذكر روايات عن إغراق المصاحف، ويذكر كذلك روايات عن تمزيق المصاحف، وابن أبي داود يطلق أحيانًا أحكامًا خطيرة متعلقة باختلاف المصاحف، ولا يستدل لها بدليل سوى بعض الروايات الموضوعة والملفقة، فيذكر عن أحد أحفاد عبد الله بن عمر أنه أخرج مصحف جده، وأراه لأبي بكر بن عياش، فقال له أبو بكر بن عياش: فأخرج حروفًا تخالف حروفنا، والعجيب أنه لم يسجل في كتاب (المصاحف) عقب هذا الأثر رواية واحدة تدل على هذه المخالفة.**

**مما سبق يتبن أن مجمل الأسس التي يقوم عليها منهج الطاعنين هي:**

**أولًا: بناء جميع تصوراتهم على الآراء، والظنون، والأوهام.**

**ثانيًا: بناء جميع تصوراتهم على اعتبار المتن دون اعتبار الإسناد، حتى لو أدى الأمر إلى أن يختاروا من آراء القدماء ما كان سنده ضعيفًا، لكنه يطابق الواقع في رأيهم، وإن كان يناقض المتواتر الثابت القطعي.**

**هذه الأسس تتناقض تمامًا مع المنهج النقدي الأصيل لدى المسلمين، في بحث المرويات المتعلقة بالكتاب والسنة، وهنا يحق لنا أن نتساءل: كيف يمكن لباحث بهذا هذا المنهج السقيم -الذي يرفض النص المتواتر حفظًا وكتابة ويقبل الآثار الضعيفة عندما توافق هواه- أن يصل إلى الحق في تاريخ القرآن، وفي تدوين القرآن، وفي جمع القرآن، وفي كتابة القرآن؟ كيف يصل عن طريق جمع الآراء والظنون والأوهام والتصورات إلى الحق؟**

**مما سبق يتبين أن بعض المؤلفين قد يطلق لفظ مصحف فلان على بعض القراءات التي تنسب إلى أحد الصحابة، وهذا نوع من الاصطلاح، لكنه اصطلاح غير دقيق، وخطره عظيم؛ إذ يوهم الاختلاف بين مصاحف الصحابة والمصحف الإمام، بل يعمقه ويشعر باستقلالية كل مصحف حتى إنه ليوضع لمصحف أبي موسى الأشعري > اسم خاص، فيسمى بـ"لباب القلوب"، ولم يذكر له سوى أربع سور من الاختلاف مع المصحف الإمام؛ ثنتان منها تخرجان على أنهما قراءتان، والباقيتان تخرجان على أنهما روايتان تفسيريتان، فهل من أجل أربع روايات نجعل مصحفًا خاصًّا لأبي موسى الأشعري > ونسميه بـ"لباب القلوب".**

**أختم الكلام ببيان إحصائية في غاية الأهمية ذكرها أحد العلماء المعاصرين، وهو الدكتور إسماعيل سالم عبد العال؛ إذ قام بإحصاء القراءات التي تصل إلى الصحابة من كتاب (الإقناع في القراءات السبع) لأبي جعفر الأنصاري، فوجدها كما يلي: علي بن أبي طالب > ينتهي إليه خمس قراءات من قراءات الأئمة السبعة، ابن عباس { ينتهي إليه خمس قراءات من قراءات الأئمة السبعة، ابن مسعود > ينتهي إليه ثلاث قراءات من قراءات الأئمة السبعة، أبي بن كعب > ينتهي إليه ثلاث قراءات من قراءات الأئمة السبعة، زيد بن ثابت > ينتهي إليه قراءتان من قراءات الأئمة السبعة، عثمان بن عفان > ينتهي إليه قراءتان من قراءات الأئمة السبعة. هذه الإحصائية ذكرها الدكتور إسماعيل سالم عبد العال في كتابه (المستشرقون والقرآن)، وهذا الكتاب هو إصدار من سلسلة دعوة الحق، التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي العدد رقم مائة وأربعة.**

**فتلك الإحصائية من كتاب (الإقناع) تنقض وترد تلك الدعوى التي ادعاها الطاعنون فيما يتعلق باختلاف مصاحف الصحابة الخاصة عن المصحف الإمام الذي جمع سيدنا عثمان الناس عليه.**

**تلك هي حقيقة ما يسمى بمصاحف الصحابة واختلافها، تلك المصاحف التي حاول الطاعنون أن يهولوا من أمرها باستغلال مرويات أبي بكر بن أبي داود في كتاب (المصاحف)، والله متم نوره ولو كره الكافرون.**

**وفي النهاية أنصح أن من أراد أن يطالع كتاب (المصاحف) لابن أبي داود، فليطالعه بتحقيق الدكتور محب الدين واعظ، الذي فند أسانيد روايات هذا الكتاب، والذي رد على كل الروايات الضعيفة التي تمثل مطعنًا أو شبهة لأعداء الإسلام، فهذا هو الدواء لمن أراد أن يقرأ هذا الكتاب، وهذا هو الحل لمن أراد أن يراجع هذا الكتاب أن يراجعه بتحقيق الدكتور محب الدين واعظ -حفظه الله.**

**وأختم الجواب على كل الدعاوى المتعلقة بالجمع العثماني باستدلال عقلي في غاية الإبداع والقوة يدل على استحالة وقوع التحريف، أو الخطأ، أو اللحن من قبل سيدنا عثمان > هذا الجواب بيانه كما يلي:**

**لو فرضنا أن عثمان -وهو من السابقين الأولين- على ما به من الدين والتقوى وما له من الآيات البيضاء كتجهيزه جيش العسرة، وحفره بئر معونة، لو افترضنا أنه أراد أن يحرف شيئًا من كتاب الله تعالى، وهو بين أظهر الصحابة، وفيهم علي، وغيره، ممن قال لعمر بن الخطاب -وهو أشد بأسًا من عثمان-: "لو رأينا فيك عوجًا لقومناك بسيوفنا"، وقد قاموا } في وجهه > من أجل أمور إدارية، ومسائل دنيوي، أي: قاموا في وجه سيدنا عثمان، واعترضوا عليه > في أمور إدارية، ومسائل دنيوية، أفما كانوا يقومون في وجهه قومة الأسود في وجه من يريد أشبالها، يرمونه بالمروق من الدين، ويعزلونه من منصبه الرفيع بتلك الحجة القائمة، والبرهان الواضح، إذا هو أراد أن يحرف القرآن على غير ما أنزل الله؟**

**لعَمْر الحق لو أراد ذلك لما استطاع له سبيلًا، ولأصبح بين المسلمين ذليلًا إن لم يكن قتيلًا، وبذلك الجواب العقلي، والاستلال المنطقي، الذي اقتبسته من كلام الشيخ يوسف أحمد نصر الدجوي أورده في كتابه (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف).**

**بهذا الكلام، وبهذا الاستدلال أختم الكلام على ما يتعلق بالملاحظات على كتاب (المصاحف)، وعلى كاتبه ابن أبي داود، وبذلك أكون قد أنهيت الكلام على سلسلة من الدعاوى، والطعون متعلقة بالجمع العثماني.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**